المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٤/٢٥

د . محمد إسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

خصوم السادات لطموا الخدود بعد انتصار اكتوبر

المفاوضات مع اسرائيل جعلت من السادات « هرتزل العرب »

قال لى السادات : « هو أنا مجنون عشان أوصل النيل لاسرائيل أو ان يكون بيجين صديقى »

■□■

هاجمتنى اذاعة بغداد .. وشاع البعض أن السادات يستكتبنى ويحدد لى كل ما أكتبه ! !

ان خصوم السادات كبر عليهم ان يكون له مكان فى سرادق الانتصار فانتفضوا يدا واحدة يحطمون الكراسى ويقلبون الموائد ويطفئون الكلوبات .. لأن الحرب هكذا قالوا تمثيلية قام بتأليفها « هنرى كيسنجر » وقام السادات وجولدا مائير بتمثيلها !!

والذين قالوا هذا مصريون صفقوا ليونيو ١٩٦٧ ومجدوا للقائه المهزوم ولطموا الخدود وشقوا الجيوب حزنا وكمدا على التآخر الأمريكى الذى سرق منهم الانتصار .

وأيا كان الأمر ، فقد فرضت حرب اكتوبر نفسها على علاقات مصر بالعرب وبإسرائيل ، وبالعالم اجمع .

ولأننى اكتب هذه الذكريات عن « علاقتى بالسادات » فإنه ليس من قبيل التجاوز ان اقول ان هذه الحرب قد فرضت نفسها على علاقتى بالسادات رغم انى انسان عادى من افراد الشعب المصرى .

□ □ □

ولما وضعت الحرب أوزارها وجاء رجال الامم المتحدة كنت فى هذه الآونة لاأزال اعد رسالة الدكتوراة التى اخترت لها موضوعا هو « مدى مشروعية اسانيد السيادة الاسرائيلية فى فلسطين » .

ومن الملفت للنظر ، ان هزيمة ١٩٦٧ هى ودون غيرها التى فرضت على اختيار هذا الموضوع .. ثم تشاء الظروف ان استمر فى اعدادها وانهائها حتى يونيو ١٩٧٥ حيث انتهت حرب ١٩٧٣ وبدأ الاتصال بين الولايات المتحدة ومصر ، من اجل ما سمى آنذاك بعملية فض الاشتباك بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية فقد كان الجيش الثالث محاصرا داخل سيناء بينما كان للاسرائيليين قوات جول البحيرات المرة والسويس

□ اريد ان اقول انه بطبيعة دراستى كنت وثيق الصلة بما يجرى .. ليس على المستوى التاريخى للحركة الصهيونية بعد نجاحها المذهل فى تحقيق هدفها وهو اقامة دولة اسرائيل وسط غابة من الدول العربية تملؤها اعشاب هشة ، يقتلعها اضعف النسيم !!

وكان السادات وهو يبدأ التفاوض من اجل فض الاشتباك يتمثل لى فى صورة « تيودور هرقل » الغرب فقد كان « هرقل »

المحامى النمساوى وابو الصهيونية سياسيا محنكا يطبق ببراعة فائقة عملية اللعب على الحبال ويعمل بالمثل القائل « تمسكن حتى تتمكن » .

وذلك ان « هرقل » حينما جمع اليهود من انحاء العالم واجتمع بهم فى مدينة « بال » بسويسرا فى اغسطس ١٨٩٧ولم يصرح بأكثر من انه يريد بهذا الاجتماع احياء الروح القومية لليهود ويريد انشاء صندوق للتبرعات للصرف

وفى كتاب له بعنوان « الدولة اليهودية » كتب « هرقل » يقول فى « بال » وضعت حجر الاساس للدولة اليهودية ولو صرحت بأننى اريد دولة لقالوا عنى اننى مجنون لكن بالتأكيد ستنشأ هذه الدولة بعد خمسين سنة !!

هكذا تبسط هرقل وتواضع ولم « يتعنتر » !! فماذا حدث ! ؟ اصدرت الامم المتحدة فى ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ قرارها رقم ١٨٢ / ٢ بإنشاء الدولة اليهودية !! اى بعد خمسين عاما بالضبط !!

هل كان « هرقل » نبيا اوتى ملكة التنبؤ بالمستقبل !! أم كان داهية جبارا ، فكر ودبر وخطط !! ؟

□ كان داهية جبارا بلا شك .. تواضع فى مطالبه وأخفى فى داخله كل احلامه وآماله .. لم يحاول ان يستفز العرب ولاتركيا صاحبة الأمر والنهى ولابريطانيا صاحبة الطول والحول فى الدنيا ولا فرنسا المنافس العنيد لبريطانيا ولا ألمانيا القوية العنيدة !!

كل ما فعله « هرقل » هو عرض خدمات اليهود على الجميع يعرضها على السلطان عبد الحميد ..وعلى تشميرلين وعلى الأمبراطور غليوم وقفز من حجر تركيا الى احضان بريطانيا عندما راى اتجاه الريح فى الحرب العالمية الأولى فى صف الحلفاء ضد تركيا والمانيا .

وطن قومى فقط .. لانريد دولة .. مجرد مكان يأوى اليه اليهود كما ياوى المسيحيون الى القدس وبيت لحم والمسلمون الى مكة !! نحن لانطلب دولة لأنه ليست لنا حقوقا « !! » فى فلسطين انها ملك للعرب !! هكذا قال « الخليفة » حاييم وايزمان فى كتابه « التجربة والخطأ » !!

□ لكن السادات حينما اعلن انه مستعد ان يوصل مياه النيل لاسرائيل هاج الاشاوس والمغاوير وأبطال الميكرفونات من عرب النضال على المقاهى !! فالسادات خائن .. يتعاون مع الاسرائيليين !!

وحينما كان السادات يقول (صديقى بيجين) كان معنى ذلك فى نظر المغاوير العرب ان السادات قد تجنس بالجنسية الاسرائيلية .

لكن السادات لم يكن قارئا للتاريخ فحسب بل كان مستوعبا وفاهما لأبعاده ويعرف من اين تؤكل الكتف ! وأشهد – أمام الله – انه قال لى : « هو انا مجنون ياسماعين عشان أوصلك النيل لاسرائيل واللا انا مجنون عشان يكون بيجين صديقى !! .. أبدا .. انا باتكلم بكده مع الرأى العام الامريكى .. والاسرائيلى .. والعالم .. هى دى اللغة الأقوى من السلاح .. ومكسبها كبير »

« انا ممكن اخلى العرب يصفقوا لى من الخليج للمحيط لو

وقفت وقلت انا حأرمى اسرائيل فى البحر وخسارة فيهم نقطة ميه انا يـهمنـى مصر .. الاجيـال الجاية .. » !!

هكذا كان السادات يفكر .. ولهذا كان موظف الاستقبال فى فندق « ايكسكيوتيف إن » بمدينة ليتل روك بالولايات المتحدة يبكى امامى عام ١٩٨٢ وهو يتذكر السادات رجل السلام العظيم الـذى دخـل قلـوب الشعب الامريكى .

لكن محنة السادات هى انه فى الوقت الذى دخل فيه قلوب الشعوب فى العالم خرج من قلوب الكثيرين فى العالم العربى !! ذلك ان لغة السادات فى الخطاب الدبلوماسى لم تكن مفهومة للشارع العربى ولا كانت له ملامح البطل الصنديد الذى يمسك بسيفه يطوح به فى الهواء وهو يمتطى صهوة حصان عربى يجرى به فى انحاء الوطن العربى !!

كان السادات يحمل غصن زيتون أخضر ، منطلقا كقذيفة مدفع اطلقها الزمن فى قلب المستقبل .. فكان غائبا عن الوعى العربى حاضرا فى الوعى العالمى يحمل هموم مصر على اكتافه عابرا الحدود من اسرائيل الى الـولايات المتحدة !

لم يكن رجلا لزمان العرب ولكنه كان رجلا للمستقبل يعيش فى الحاضر .

وكان العرب رجالا يعيشون فى الماضى ، بالسيوف والخناجر والخناجر التى لم يتبعها الهتاف لكل الزعماء على ضفاف النيل ودجلة وبردى والفرات .

لذلك كان السادات « غريب الدار » رجلا اخطأ فى الهبوط بالمظلة على ارض العرب قبل الأوان !!

□ □ □

ولقد هزنى بيان صدر من الحليف العربى العظيم «سوريا» وقتئذ بتوقيع « عبد الله الأحمر » ينص فيه على ان السادات خان العهد وعقد صلحا منفردا مع اسرائيل بتوقيعه اتفاقية فض الاشتباك !!

كان ذلك فى سبتمبر ١٩٧٥ بعد ثلاثة اشهر من حصولى على درجة الدكتوراة ..

واستفزنى بيان قيادة البعث السورى مواطنا مصريا اولا ودارسا لكل شىء يتعلق باسرائيل تاريخيا وكفاحا ومنشئا !!

فعزمت على كتابة مقال لجريدة الاهرام لاول مرة وفى ١٨ سبتمبر ١٩٧٥ فوجئت بنشر المقال الذى

اناقش فيه من وجهة نظر القانون الدولى أن اتفاقية فض الاشتباك ذات طابع عسكرى بحت وليست اتفاقا سياسيا يترتب عليه التزامات سياسية مثل الاعتراف باسرائيل .

□ كان نشر المقال مفاجئا لى فجريدة الاهرام لها وزنها الثقيل فى عالم الصحافة وهى لاتنشر الا ما يستحق النشر فعلا فأحسست بالزهو والفخر ، وشجعنى ذلك على كتابة مقال آخر تم نشره فورا وهكذا توالت مقالاتى منذ ١٨ سبتمبر ١٩٧٥ . وكان يراس تحرير الاهرام آنذاك المرحوم الاستاذ على حمدى الجمال وعرفت فيما بعد ان المسئول عن نشر مقالاتى هو الاستاذ صلاح منتصر ، الذى كان رئيسا لتحرير صفحة الرأى .

اننى اذكر ذلك لأن صلة وثيقة بعلاقتى بالسادات .. ذلك ان الرجل عرفنى من كتاباتى وتتبعه لها .. اما ما كان يدور فى اذهان بعض « الأشاوس » فهو ان السادات « يستكتبنى » ويحدد لى موضوعات الكتابة ثم تمادى « الأخوه » من صفر القلوب والوجوه فى تحديد راتبى عن كل مقال !! مع اننى لم اكن اتقاض مليما واحدا فى ذلك الحين لسبب بسيط هو اننى لم اكن « كاتبا » من كتاب الاهرام بل مجرد « قارىء » يجيز الاهرام نشر مايكتبه من مقالات .

وروبدا رويدا اصبح لمقالاتى صدى حتى فى البلاد العربية ، حيث كنت اسمع من اذاعة بغداد هجوما على شخصى وعلى مقالاتى .. ولم اكن ادرى ان مقالاتى ضد دولة عربية كبرى ، يتم رصدها وحفظها الا عندما نزلت هناك ضيفاً مكبلاً بالحديد على مائدة مباحث هذه الدولة لمدة تسعة اشهر تم فيها وضع الحبل حول عنقى بتهمة قذرة عقابا لما ورد بمقالات لى كنت قد نسيتها تماما بعد تحسن علاقات مصر بهذه الدولة .

□ □ □

وكان مقالاتى عن عروبة مصر ضد آراء الدكتور لويس عوض قد أتـاحت لى شهـرة لم يكن اتصورها .. بل وأحسست بأن ما يحدث لمقالاتى هو اكبر من احلامى !! فقد كانت اذاعة مصر تذيع نص المقال كامـلا فى الصباح .. تماما كما كان يحدث لمقالات الكاتب العظيم محمد حسنين هيكل !! ولم يصبنى ذلك – والحمد لله – بالغرور بل اذكر ذلك لحقائق مجردة حدثت بالفعل .

□ ولم تكن مسيرة السلام قد بدات بعد لكن السادات بدأ فى اعقاب الحرب

وعلى وجه التحديد عام ١٩٧٤ بالحديث عن موضوع بدأ لنا غريب المعنى .. وهو « الانفتاح » ومعنى هذا واقول بصراحة اننى سألت نفسى يومها .. هل نحن فى « انغـلاق »! ؟ ومـامعنى الانفتـاح والانغلاق ! ؟

كانت هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها « تداول » كلمة الانفتاح وهى كلمـة « فتحت » عـلى السادات فيما بعد ابوابا من جحيم النقد اللاذع والسخرية القاتلة .

ومن عجب ان الذين انتقدوا الانفتـاح مـن النـاصريـين والماركسيين كانوا يصفونه بأنه (سداح مداح) اى انه فتح ابواب الفساد وانصب عـلى الاستهلاك .. مع ان « نظرية » السادات فيه كانت تتركز على الانتـاج اى ان « تطبيـق » الانفتاح لم يكن متفقا ١٠٠ ٪مع ما تصوره السادات .. وحينما يقول احد ان الاشتراكية و الناصرية قد فشلنا فشلا ذريعاً

يقول الناصريون والاشتراكيون ان « النظرية » سليمة ولكن الخطأ فى التطبيق !! افلا يصدق على هؤلاء قول الله عز وجل « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » !! ؟